فصل من رواية

في تذكر عماريا

نجم والي

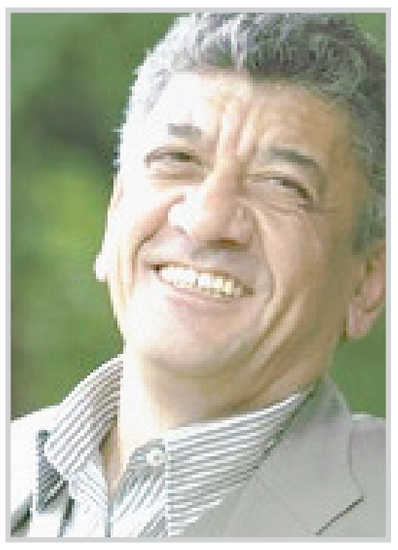

لا أدري كم ساعة مرت وأنا في الفراش عندما فتحت أمي الباب بهدوء ودخلت لكي توقظني، هزتني من كتفي، ثم ذهبت لتفتح ستائر الشباك. نمت في الغرفة العليا، في الطابق العلوي من البيت، في الغرفة التي كانت ستصبح غرفتي لكنني رحلت قبل أن يتم بناء البيت، كانوا قد إنتهوا من بناء الطابق الأرضي، وبدأوا ببناء الطابق العلوي. في كل الرسائل التي كتبتها لي أمي كانت تصف لي الغرفة وتقول بأنني سأصاب بالدهشة حالما أراها، لقد رتبتها بالشكل الذي يليق بي، على ذوقي كما كانت تقول، حتى لون الستائر، اللون البنفسجي الممتزج بلون الغروب، بلون سيارة الشوفروليه، زيدان ديلوكس موديل ١٩٥١، سيارة "النحس" أو "شافي" التي عشقتها عندما كنت صغيراً، (للأسف بقيت عند أبي سنتين فقط، إلا أن تركها بعد ٨ شباط ١٩٦٣ في بغداد بعد حصار الدبابات شوارع بغداد)، أما الصور القليلة التي ملكتها بالأبيض والاسود فقد وضعتها في إطارات خشبية، لونها ذهبي، علقتها على الحائط، فضلاً عن ذلك، طلبت مني ألا أشغل بالي فيما يتعلق ببعض الأوراق والمجلات التي لم أستطع أخذها معي فقد وضعتها في صندوق صغير، هل تتذكر الصندوق الصغير من خشب الأبنوس والذي بطنته هو الآخر بقماش من القطيفة لونه بنفسجي ممزوج بلون الغروب؟ حتى الصحيفة، أخبرتني أمي دون أن تقول لي أية صحيفة كانت تقصد، ولم أسألها لأنني كنت أعرف بأن الرسائل تُفتح عندهم وتخضع للرقابة، ولن تنتهي إلى يد أختي التي تعمل في دائرة البريد والبرق والهاتف كما حدث ذات مرة مع الرسالة التي وصلت للملاك من عمه سمر في روما؛ ولو لم تحتفظ أمي بكل ذلك، لما كنت تذكرت عند عودتي هذه، فعلت أمي كل ما في وسعها لكي تحتفظ لي بها، تنقذها برغم أزمان الأزمة وتفتيش البيوت وإزدياد مطاردات السلطة لمعارضيها، خصوصاً في جنوب البلاد إضطرت مرة إلى صلاحه أن تضعها في تنور البيت، عندما إجتاحت قوات الحرس الجمهوري المدينة في ربيع ١٩٩١، عندما دخل الجنود إلى البيوت يكسرون الأبواب يفتشون عن الاسلحة والمنشورات، مرات عديدة، كان على أمي، كما تقول التفنن بالعثور على مخبأ جديد لها، لم تشأ أن تتلف الأوراق على طريقة جدي الذي أتلف كل ما كان في حوزته من وثائق وقوائم أسماء تعود للمقبرة الإنكليزية بعد انقلاب البعثيين في ٨ شباط ١٩٦٣ خوفاً أن يظنوا أنها تحوي على أسماء لشيوعيين! حتى صحيفة التهذيب التي قتلوا صاحبها أحمد تحفة، "شلون رجّال"، قالت لي أمي وهي تذكرني بقصة الهجوم عليه من منظمة "فتوة الإتحاد الوطني لسحق اليهود وعملائهم"، بل أنظر "يُمّة" حتى العلبة، "علبة دبس العروس" تركتها لك على حالها، ولولا أن يظن الناس أنني مجنونة تأكل دبساً فاتت مدة صلاحيته لفتحت العلبة وخليتك تتذوق طعم الدبس، قالت لي وهي تريني العلبة القديمة، بنسختها الأصلية، وليست اللاحقة التي فشل صاحب معمل الدبس الجديد عشير آل تختة بتسويقها، قال الناس، "إنه علقم وليس دبس!"، بل حتى البدلة بالقميص الأبيض والشورت الأزرق، بدلة البحرية التي واظبت على لبسها وأنا صغير، ماركة أم آي بي، ربما كان طول القطعتين سوية ٣٠ سنتمتراً أو أكثر، كنت ناعماً كما تقول أمي، ما زالت تحتفظ بها ومازال الشق الصغير في زيجها الذي صنعه المهاجمون عندما كانوا يلعبون بيّ، يرمونني في الهواء في ذلك اليوم المشؤوم، كما تسميه أمي، يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦، شق صغير عند الجيب الأيسر، قريب من القلب، "خاف أبوك عليك في حينه، أن يقتلك الأشرار هؤلاء"، ما الذي لم تتركه لي أمي إذن؟ كانت تعرف أنني سأرجع يوماً وأبحث عنها؛ أنها عدتك التي تركتها أمانة في ذمتي، قالت لي، قلت لابد أن يعود يوماً ويحتاج إليها، وهي لم تنسَ الجملة التي كتبتها لها ذات يوم، ربما تلميحاً لأحررها من عبء الأوراق، ولكي لا أشعر بالذنب وتأنيب الضمير إذا تعرضت للإعتقال وللإهانة بسببي، كتبت لها: "كل ما لا تحمله الذاكرة شفوياً لا يصلح لكتابة قصة"، أعرف أنك ستكتب القصة مع الأوراق هذه أو بدونها، قالت لي وهي تسلمني كل ما أنقذته، " قلبي كان يقول أنك تشعر بثقة أكثر إذا كانت بحوزتك وقائع تعتمد عليها، ماكو واحد راح يتهمك بالكذب"، وكانت إذا نسيت شيئاً جاءت في اليوم الثاني معتذرة، لكن فرحة أيضاً وهي تسلمني ما تعتقد أنني بحاجة إليه، هذا ما فعلته مع الحُلي الذهبية، كل القطع التي جمعتها منذ زواجها من أبي هي مئة وثلاث وتسعون قطعة، محابس وحجول وباجات وأساور وقلائد وأقراط وبروشات شعر، كل ما يمكن أن يخطر على بال إمرأة شراءه، كما قالت لي، بصياغة وتفاصيل مختلفة، لكن أمراً واحداً جمعها جميعاً: نقوش الملاك، مئة وثلاثة وتسعين نقشاً عليها الختم ذاته في الأعلى إلى جهة اليمين، ثروة كبيرة في الحقيقة. آه لو يعرف اللصوص أي كنز يستقر على طاولتي الآن بالضبط إلى جانب اليوميات التي كتبها نعيم، ها هي غرفتي لا تزدحم بالعدة التي حفظتها لي أمي وحسب بل بكل ما تجمع عندي طوال فترة إقامتي الجديدة فيها، ماذا عليّ أن أفعل مع كل هذه العدة؟ ربما ظل هذا السؤال يشغلني ساعات طويلة أخرى، ربما جعلني أنام من جديد كأن الساعات التي نمتها تلك كل ساعات النهار لم تكن تكفي، لو لم أسمع صوت أمي، تقول لي أنهم ينتظرونني لتناول الغذاء فأجيبها، عليهم أن يجلسوا إلى المائدة هذه المرة بدوني وألا يقلقوا فما زال ينتظرني الكثير من العمل، ثم أشارت ناحية الأوراق المبعثرة وقالت قبل أن تخرج وتردّ الباب بهدوء، ستجد كل ما تحتاجه في عدتك القديمة تلك. نعم بالتأكيد سأجد كل ما أنا بحاجة إليه في العدة تلك، مثلي مثل متهم يجمع أدلة براءته، قلت لنفسي وأنا أقلب الأوراق القريبة من السرير، وقعت يدي هذه المرة على دفتر صغير، غلافه أسود، وعندما قلبت صفحاته تبين لي أنه مسودة غير مكتملة لقصة غير مكتملة، مقسمة إلى مقاطع قصيرة تشبه اليوميات، الخط فوضوي وغير واضح، لابد أنني أنا التي كتبتها بعجالة وبخط يدي الطفولي، بعد قراءتي لصحيفة التهذيب مباشرة، (العدد الأخير كما أظن قبل أن تهجم على أحمد تُحفة، صاحب الصحيفة عصبة من "فتوة الإتحاد الوطني لسحق اليهود وعملائهم"، في مكتبه الصغير فوق المكتبة العصرية لبيع الكتب والقرطاسية الواقع عند زاوية شارع المعارف مع السوق الكبير، المكتب الذي كان بيته أيضاً لم يوقفهم أنه كان رجلاً وحيداً طاعناً في السن، قيل أنهم، حرقوا أوراق المكتب وأطلقوا النار أولاً على زجاج النوافذ ثم عليه قبل أن يخرجوا ويتركونه جثه هامدة على أرض المكتب)، كانت هي ملائكة التي أعطتني الصحيفة، في عددها الأخير على ما أظن، لأنني لم أرَ عدداً آخر غيره، أتذكر حين، انها قالت لي وهي تسلمني العدد، "أقرأه إذا كنت ترغب بكتابة قصة فعلاً"، كنت حدثتها قبل ذلك عن رغبتي بكتابة القصص، كانت رغبة عابرة على ما أظن، لكن ملائكة أخذت حديثي بجدية لدرجة أنها رددت أكثر من مرة أمامي، "ليس هناك أحد غيرك سيروي القصة؟"، لا أدري إذا كانت تقصد قصة ما حدث للصحيفة وصاحبها أم قصة أخرى، لأنها قالت لي في ذلك اليوم، "لا تعتقد أن المدينة ستشهد صحيفة أخرى مثلها، وإذا أردت أن تعرف لماذا؟ فعليك أن تقرأ القصة المنشورة فيها فقط"، وكانت تقصد القطعة الأدبية المنشورة في الصحيفة بمناسبة مرور عشر سنوات على حفل وداع مستر تي سي أليوت، قالت لي ملائكة، "ليس لأنها تتحدث عن ذلك اليوم الحار من صيف ١٩٥٦، اليوم الذي وُلدت أنت فيه، بل لأنك ستجد فيها كل ما تحتاجه لكتابة قصة، أية قصة"، أعتقد أنني بعد قراءتي ما كتبه نعيم جلست إلى الطاولة هذه ذاتها فكرت بكتابة تكملة ما قرأته في الصحيفة، أتذكر، أنني فكرت أيضاً، بأنني إذا سأمنح ما سأكتبه عنواناً طريفاً، لكنه يتلائم مع ما جرى من أحداث "فاكتس أند فيكشين: فاكشين". الآن وأنا أقرأ المسودة التي أعتقد أنني كتبتها، أعرف كم كانت ملائكة على حق بأنني إذا أردت الشروع بتكملة المخطوطة التي فكرت بكتابتها في حينه وبالشكل الذي يليق، فلابد أن يكون الطريق الأول الذي يوصل إلى القصة، هو أن أعيد أولاً قراءة الصحيفة من جديد.

× فصل من رواية "ملائكة الجنوب: كتب عماريا التي ستصدر قريباً عن دار نشر ميريت في القاهرة ومترجمة الى لغات عديدة في الوقت نفسه.

الضفة الاخرى

بعيداً عن بلدها ..

الشاعرة "ماريا فيامنغو" وكلمات مغمسة بلغة الاغتراب ..

ترجمة : عدوية الهلالي
عن مجلة (poesie) الفرنسية

من أب صربي وام كرواتية ، ولدت الشاعرة ماريا فيامنغو في عام ١٩٢٧ ، ولأنها عاشت حياتها في كندا واكتسبت الجنسية الكندية فقد لازم شعرها موضوع الاغتراب وظهر من خلال صور شعرية رائعة اضافت الى الشعر الكندي انجازا ادبيا كبيرا ملونا باستعارات جريئة معوضة ضياع الثقافات التقليدية في كندا بسبب الامبريالية الثقافية الامريكية ..
في قصيدتها (ريشة الغراب) التي ترجمت ضمن مجموعتها الشعرية التي تحمل الاسم نفسه الى اللغة الفرنسية ، تصف ماريا فيامنغوحنين آلاف الاشخاص الى بلدانهم من خلال صور رثائية مشوقة ومترعة بالمعاني العميقة ..
من هذه المجموعة التي صدرت مؤخرا عن دار غراسييه الفرنسية للنشر ، نقتطف هنا هذه القصيدة التي تلخص تماما اسلوب ماريا في اخضاع اللغة الشعرية لعالمها الخاص جدا.

ريشة الغراب

هاقد بدأ المطر يهطل ..
مسرورة انا ، لأنك لن تكون هنا ..
انت ..انت يامن تكره المطر !!

والدي كان رجلا مفعما بالرجولة ..وبسيط ، بسيط ..
كان يصطاد برفقة الهنود
وكان الهنود يعرفون اسرار (المطر)!..

انتظرت طويلا ان تزهر ..ريشة الغراب
وانا اقرأ عن تاريخ الثورة ،
وعن عظام اصدقاء والدي
في الاساطير ،
ليت المطر يمحو الاشياء !!
كم هم عجيبون ،اولئك السكان ..
في ذلك المنزل، حيث كانت الشموع تحترق امام الايقونة ..
في الحجرة المطلة على الشارع
حيث التروشكويون ذوو الاسماء المعقدة
يثرثرون حول طاولة المطبخ .
كانت امي تغني في المطبخ ..
سأحلق عاليا ، بعيدا عن حقل الموت الاسود ،
كما الغراب ...
سأبحث عن الذهب الاحمر ،
المضرج بدماء الصقور ..
على هذه الارض ..حيث لايمكن للجمال ان يعيش ابدا ".
كانت قد ايقنت في وقت متأخر
بأن القيم خاسرة لامحالة ..
شيء مثير للفضول ..أن اكتب لغة اجنبية ،
بأن والدتي كانت تغني بلهجتها المحلية ..عن بلاد البلقان !!
في سهول كوسوفو ،
انقرضت الصقور ..
وعلى ضفاف الفولغا ،

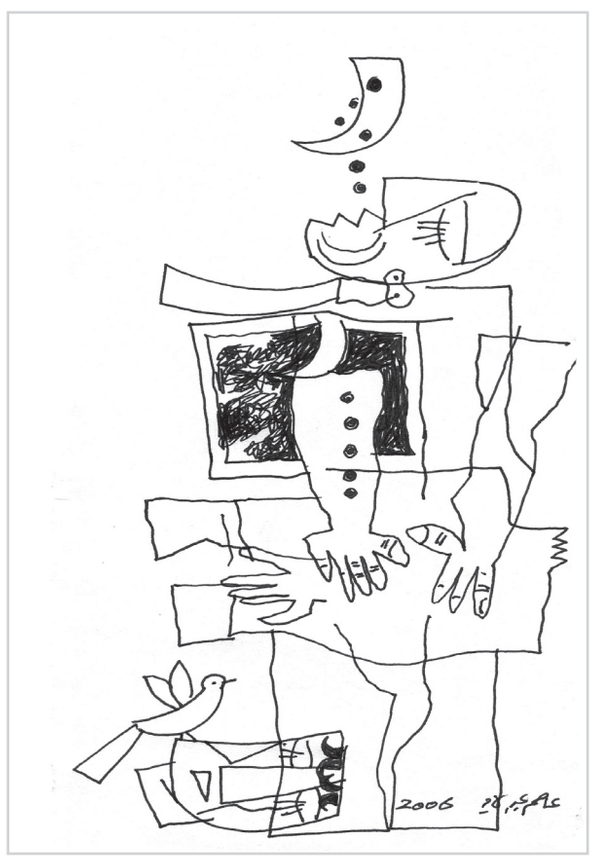

شاخت البراعم الكريمة ..وجفت !!
كل هذا من اجل اسم مازلت مؤمنة به ،
انه مرثية حنيني ،
سيتركك الحنين تحت المطر
منتظرا ، ان تزهر ..ريشة الغراب
سيتركني الحنين تحت المطر ..
منتظرة ان تزهر ..ريشة الغراب !!

متابعات

أقامتها رابطة المثقفين

أمسية عن تاريخ وحاضر مدينة الناصرية

حسين العامل
الناصرية

اقامت رابطة المثقفين في الناصرية على حدائق دائرة صحة ذي قار امسية رمضانية حول ماضي وحاضر مدينة الناصرية حاضر فيها الباحث حسن علي خلف.
وقد استهل الباحث محاضرته في الامسية التي ادارها سعد عبد الرزاق بالحديث عن تأسيس اولى التشكيلات البلدية في مدينة الناصرية وابرز المهن والحرف التي كانت سائدة انذاك كما تحدث عن حاضر مدينة الناصرية التي تعود بدايات تأسيسها عام ١٨٦٩ على يد الوالي العثماني مدحت باشا الذي استعان بالمهندس الجيكي جولس بيلي ليعد لها التصاميم ويشرف على تشييدها.
وقد تطرق الباحث الى الية انتخاب المجالس البلدية التي كانت تتشكل في بدايات تاسيس الناصرية من الشخصيات المتنفذة والتجار عبر انتخابات تجري كل اربع سنوات والى ابرز ما كانت تقوم به تلك المجالس في المجالات الادارية والاقتصادية والاجتماعية ودورها في تنظيم حركة الاسواق والمرافق العامة مشيرا الى ما حل بتلك المجالس ومدينة الناصرية من فوضى في اعقاب دخول القوات الانكليزية الى مدينة الناصرية في الخامس والعشرين من تموز عام١٩١٤ .
وعرج الباحث الذي اصدر عدة مؤلفات عن تاريخ مدينة الناصرية وطبيعة الحياة الاجتماعية فيها على ما حصل من متغيرات اجتماعية واقتصادية في فترة الاحتلال الانكليزي متمثلة في اندلاع هبات شعبية لمقارعة الاستعمار وازمة الغذاء واستبدال العملة من الليرة العثمانية الى الروبية الهندية وفيما بعد الى الدينار العراقي الذي سك أول مرة عام ١٩٣٤ كما تطرق الباحث الى حاضر مدينة الناصرية وما تشهده من حركة بناء واعمار ونهوض في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وفي ختام المحاضرة تم فتح باب الحوار امام الحضور
حيث تفاعل الجمهور مع ماقدمه الباحث في الامسية الرمضانية التي تواصلت على مدى ساعتين وذلك عبر المداخلات والتعقيب وابداء الرأي وتصويب المعلومة.

تعقيب

تعقيب على (مدرسة الغري)

الى جريدة المدى الغراء

تحية طيبة
نشرت جريدتكم الغراء بعددها المرقم ١٣٢٥ الصادر بتاريخ١٧ ايلول ٢٠٠٨ وفي الصفحة ١٦ منها بحثاً عن (مدرسة الغري) بقلم الاستاذ الفاضل(رفعت مرهون الصفار) وكان بحق موضوعا شائقاً تناول مدرسة انشئت في عشرينيات القرن الماضي في مدينة النجف الاشرف وأدت هذه المدرسة الاهلية بالرغم من امكاناتها القليلة في حينه دورا كبيرا ومتميزا في مجال التعليم الحديث وكانت اهلا لتكون مصدرا لتخرج المئات بل الالاف من العلماء والادباء والشعراء والاطباء والمهندسين والمحامين .. وحتى السياسيين الذين كافحوا الاستعمار وضحوا بانفسهم واموالهم في سبيل استقلال العراق ونهضته وكان لها النصيب الاوفر في نهضة النجف العلمية الحديثة .
واعتزازا وانصافا لكل الذين ساهموا في خدمة الشعب والوطن اود ان اضيف مايلي موضحا بعض الامور اتماما للفائدة العامة ، فحسب المعلومات المتوفرة لدي ان الشخص الذي عين مديرا للمدرسة(يحيى موصلى) هو الراحل يحيى (ق) الشيخ عبد الواحد احد ابناء الموصل الشوس والذي كرس كل حياته في سبيل وطنه وشعبه وكانت خاتمة وقفاته الوطنية في مكافحة ومقارعة الاستعمار والرجعية ان قدم حياته قربانا لشعبه اذ توقف قلبه المفعم بحب العراق عن الخفقان في نيسان عام ١٩٦٦ في سجن الحلة حيث كان يقضي وهو في شيخوخته عقوبة فرضتها عليه حماقة عارف والرجعية المقيتة. وعند تعيينه مديرا لمدرسة الغري كان في وقتها خارج الخدمة اذ اعتزل الوظيفة كمعلم اثر زيارة الملك فيصل الاول لمدينة الموصل وتعرض (وكان عريفا لحفل اقيم على شرف الزيارة المذكورة) بكلام ازعج الملك ومرافقه ممثل الانتداب. وعز على رجال ثورة العشرين تركه واعتزازا به كرموه باناطة ادارة المدرسة له ، وموضوع تعرضه للملك في ذلك الحين يحتاج لوقفة اخرى قد تتاح الفرصة لتناولها في مناسبة اخرى .
عليه اقدم هذا الايضاح والتفصيل راجياً نشره بجريدتكم الغراء وفي الصفحة ١٦ من اي عدد قريب تختارونه خدمة للمصلحة العامة ووفاء لشهدائنا الابرار وعراقنا الحبيب. وتقبلوا فائق الشكر والاحترام.

المحامي
صادق جعفر عزوز الفتلاوي
بغداد

كتاب احتفالي عن المفكر المصري الراحل عبد الوهاب المسيري

المدى الثقافي /الوكالات

جاء كتاب (عبد الوهاب المسيري فارس التغيير) في ١١٢ صفحة متوسطة القطع وأصدره عدد من تلاميذ المسيري وأصدقائه كرد تحية لرجل يعد "موسوعة على قدمين" على حد وصف الكاتب المصري ياسر علوي في دراسة نوه فيها بأن المسيري قدم مشروعا فكريا امتزج فيه الهم العلمي بالنضال من أجل التغيير.

وكان المسيري يتولى منصب المنسق العام للحركة المصرية من أجل التغيير (كفاية) التي تأسست نهاية عام ٢٠٠٤ وتضم رموزا من ألوان الطيف السياسي والفكري والثقافي والنقابي. وتتلخص جهود الحركة في شعار "لا للتجديد (للرئيس حسني مبارك) لا للتوريث (لابنه جمال)."

وقال علوي ان المسيري "كان نموذجا استثنائيا لمثقف مناضل يحيا مشروعه ويعيش قيمه باتساق واستقامة يكادان يستعصيان على التصديق. مثل هذا الرجل لا يرثى فرثاؤه اهدار لاهم ما في تجربته" كما حذر من التلقي السلبي لدراسات المسيري داعيا للتفاعل معها وتطويرها وعدم الاكتفاء بالثناء على مؤلفها حتى لا يتحول الجهد العلمي الى " أيقونة نتبرك بها".

وأضاف أن المسيري كان دائم الانتباه الى هذا "الخطر" ففي معظم دراساته عن " الظاهرة الصهيونية" لم يكف عن التأكيد على أنه لم يحصل على معلومات سرية ولا أرقام جديدة وأن كل جهده واضافاته يتمثل في تقديم نموذج تفسيري جديد للظاهرة "أي أن انجازه... انجاز منهجي.. الانتصار للتاريخ هو الهم الحاكم في جميع أعماله فتحليله للظاهرة الصهيونية يقوم على نقد ونقض استثنائها لنفسها من التاريخ الانساني واصرارها على أن الجماعات اليهودية تمثل شعبا عضويا يعيش خارج التاريخ.. فالمجتمعات والايديولوجيات الاستيطانية معادية للتاريخ.. تحليل الظاهرة الصهيونية هي وضعها في سياقها التاريخي السليم باعتبارها ظاهرة استعمارية غربية."

والمسيري في رأي الكاتب صقر أبو فخر "أحد أهم المفكرين العرب الذين كان لهم شأن كبير جدا في تفكيك الركام المروع الذي أطبق على أدمغة الدارسين العرب حينما تتصل دراساتهم بفهم المسألة اليهودية والصهيونية" بعيدا عن مفهوم التعميم والاختزال الذي كان كثيرون ينظرون من خلاله الى اليهود كشعب متسق له سمات واحدة ولم يتأثر بغيره على مدى التاريخ "كما تدعي الصهيونية".

ويقول الروائي المصري بهاء طاهر ان المسيري لم يكن فقط نموذجا "للمثقف الشامل الذي يجمع بين العلم والعمل. انه أكبر منذ ذلك بكثير.. لا نظير له بين المثقفين كما كان (المفكر المصري الراحل) جمال حمدان بلا نظير في الجيل الاسبق". والى هذا المعنى يصل أيضا الكاتب المصري أحمد بهاء الدين شعبان قائلا ان المسيري "قاتل بضراوة ضد الزيف والاستبداد والفساد والخنوع" واصفا اياه بالمثقف النموذج.

وقال جورج اسحق المنسق السابق للحركة المصرية من أجل التغيير (كفاية) ان المسيري سعى الى نقل "مدرسته البحثية الى قلب حركة كفاية. بل توظيفها لدعم أنشطة الحركة وقدرتها على التصدي لحكم الفساد والاستبداد."

أما هدى حجازي الاستاذة بجامعة عين شمس وأرملة المسيري التي شاركته رحلته العملية والفكرية وقدما معا ترجمات مشتركة لبعض الكتب فقالت في كلمة قصيرة ان المسيري كان نموذجا انسانيا متفردا ولم يكن ملكا لاسرته الصغيرة داعية تلاميذه لاكمال رسالته.